الإسْتِرْجَاعُ فِي الشِّعْرِ العَرَبِيّ
((محمود درويش أنموذجاً))

نرجس خلف أسعد
مدرس مساعد
جامعة تكريت / كلية التربية

الملخص

ان للزمان اثر في الاعمال الادبية كافة ، فالقصة والرواية والمسرحية اسسها مبنية على الزمان والمكان ، فلا يقع جدث الا ويكون له زمان ومكان لحدوثه ، والشعر كذلك بات لايخلو من وجود قطبي الحدث (الزمان والمكان) ٠ ومن تقنيات الزمان التي تكاد الاعمال الادبية لا تخلو منها ، هي تقنية الاسترجاع التي وظفها الشعراء بشكل متفاوت كأي تقنية اخرى يوظفوها في اشعارهم ، فقوة توظيفها تعتمد على ثقافة الشاعر وتمكنه من هذه التقنية او تلك ومدى ملائمتها لموضوع القصيدة حتى لاتبدو مقحمة اقحاماً لافائدة منه ٠
الاسترجاع من تقنيات الزمان التي استعارها الشعراء من الاجناس الادبية كالرواية والقصة ، حيث وظف الشاعر محمود درويش تقنية الاسترجاع – مثل كثير من الشعراء - بشكل يتلائم مع اسلوب الشعر الدرامي او كما يطلق عليه بعض النقاد (الاداء القصصي في الشعر ، او النزعة القصصية في الشعر) والاسترجاع هو الانتقال بالاحداث من اللحظة النفسية في الوقت الحاضر الى لحظة نفسية في الزمن الماضي ويأتي غالباً لربط الاحداث الحاضرة بالاحداث الماضية لتكتمل الصورة الفنية لدى القارئ ٠

/المقدمـــة

بدأ الشعر المعاصر في منتصف القرن العشرين بالاستفادة من الفنون والأجناس الأدبية الأخرى ، فلم يعد هناك جنس أدبي مستقل بذاته ، فقد استفاد الشعر من تقنيات القصة والرواية كاستخدام فضاء الزمان والمكان والسرد والحوار ... وتعدد الأصوات والكورس من المسرحية .
ولقد ارتأت الباحثة أن تدرس تقنية الاسترجاع في الشعر التي استغلها الشعراء من تقنيات السرد القصصي والروائي .
والاسترجاع ظهر لدى كثير من الشعراء العرب منذ منتصف القرن العشرين ، ولعل البياتي هو رائد هذا الفن في الشعر ، ويتبعه بعد ذلك شعراء لا يقلون براعة في توظيفهم للاسترجاع أمثال السياب ، وصلاح عبد الصبور وأمل دنقل ، ومحمود درويش .... وغيرهم من الشعراء .
وسنتناول بالبحث والدراسة استخدام الشاعر محمود درويش هذه التقنية وما يتعلق بها في شعره .....

{{ الإسترجاعُ فِي الشِّعْر }}

والإسترجاعُ كما قلنا تقنية استعارها الشعراء من تقنيات الرواية والقصة الحديثة ، ويتعلق الإسترجاعُ بتقنية الزمان السردي ، وينشأ الاسترجاع من خلال اختلاف زمان رواية وسرد الأحداث عن زمان وقوعها ، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالذاكرة وبالزمن الماضي .
فالاسترجاع هو الانتقال بصيغة الخطاب من الزمن الحاضر إلى الزمن الماضي ، والاسترجاع في الروايـة هو أن ((يترك الراوي مستوى القص الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية ، ويرويها في لحظة لاحقة لحدوثها)) (١) ، أما في القصيدة فهو ((قطع التسلسل الزمني للأحداث والعودة من اللحظة الحاضرة إلى بعض الأحداث التي وقعت في الماضي)). (٢)

ويقع الإسترجاعُ في لحظات زمنية مختلفة فقد يحدث في زمن قريب للحدث المروي او زمن بعيد للحدث المروي ، والاسترجاع القريب يكون للأحداث التي تقع بعد بدء سرد الأحداث أو بعد بدء الرواية وهو ما يسمى بالاسترجاع الداخلي ، أما الاسترجاع البعيد فيحدث في لحظة زمنية سابقة لبدء الرواية وهو ما يسمى بالاسترجاع الخارجي .

وسنبدأ دراستنا هذه بقصيدة (عن الشعر) (٣) إذ يبدأ الشاعر القصيدة بالتحدث عن الماضي ؛ إذ يسترجع حاله وحال رفاقه الشعراء حيث كانوا يمرون بحالة من التخبط ..

-١-

أمس ، غنينا لنجم فوق غيمة
وانغمسنا في البكاء !
امس ، عاتبنا الدوالي ، والقمر
والليالي .. والقدر
وتوددنا النساء !
دقت الساعة ، والخيام يسكر
على وقع اغانيه المُخَدرْ
قد ظللنا بؤساء

حيث يغنون من جهة لشيء محسوس غير ملموس ثم ينغمسون بالبكاء ، ثم يعاتب الشاعر القمر والليالي والقدر وفي الوقت نفسه يتودد الى النساء ... وكأنه كان في حالة من فقدان الوعي ، او بحالة من النشوة الكاذبة ثم تأتي الصحوة والإحساس بالبؤس حيث الحاضر الحزين ..

يا رفاقي الشعراء !
نحن في دنيا جديدة
مات ما فات ، فمن يكتب قصيدة
في زمان الريح والذرة ،
يخلق انبياء

-٢-

قصائدنا ، بلا لون
بلا طعم ... بلا صوت !
إذا لم تحمل المصباح من بيتٍ إلى بيتٍ !
وان لم يفهم ((البسطا)) معانيها
فأولى ان نُذريها
ونخلد نحن .. للصمت !!

ويوجه نداءه إلى رفاقه الشعراء بان ما كان انتهى وان كتابة قصيدة حقيقية في زمن الدمار والحروب معجزة أشبه ما تكون بخلق أنبياء جدد ، وان القصائد إن لم تكن سلاحاً ذو حدين

يغير حياة الناس وعقولهم نحو الحرية ونحو الدرب المنير ، وان لم تدخل معانيها قلوب الناس وتحرك مشاعرهم فالأولى بالشعراء أن يصمتوا ...

لو كانت هذي الأشعار
إزميلاً في قبضة كادح
قنبلة في كف مكافح !
لو كانت هذي الاشعار !
*
لو كانت هذي الكلمات
محراثاً بين يدي فلاح
وقميصاً .. او باباً .. او مفتاح !
لو كانت هذي الكلمات
*

ويمر الشاعر بحالة من تعدد الأمنيات الا انه يريد شيئاً اقوى من ان تبقى امنيات فهو يريد لهذه الاشعار ان تكون فعالة ، ان تحقق انقلاباً في الحياة ، ان تفجر الانسان الجديد ، ان تكون ازميلاً في قبضة كادح او قنبلةً في كف مكافح او او ..... وكأنه يتسلسل في مراحل الانسان الى ان يصل الى انفتاح الحياة ..... ان تكون باباً ، والباب لا فائدة منه ان لم يكن فيه مفتاح يفتحه على الحياة ...

احد الشعراء يقول :

لو سرت اشعاري خلاني
وأغاظت أعدائي
فانا شاعر ...
وأنا .... سأقول !

فهذه هي القصيدة التي يريدها الشاعر . القصيدة التي تحقق حالةً من الوجود الانساني والبقاء والاستمرارية لـه كشاعر . نلاحظ ان الشاعر استخدم الاسترجاع في بداية القصيدة واسترجاعه هنا كان استرجاعاً خارجياً يعود الى ما قبل بداية الرواية ويلجأ الشاعر الى استخدامـه ((لملء فراغات زمنية تساعد على فهم مسار الأحداث)) . (٤)

.....

وفي قصيدة ((ريتا والبندقية)) (٥) فان الشاعر يبدأ بالكلام عن ريتا التي تفصلها عن عيونه بندقية ، والبندقية هنا الحاضر الذي يحجز الشاعر عن حبيبته ريتا ذات العيون العسلية ...

بين ريتا وعيوني ... بندقية
والذي يعرف ريتا ، ينحني
ويصلي
لإله في العيون العسلية !

وفي هذه اللحظة الشعورية ينتقل الشاعر الى الماضي ليسترجع لحظات مع ريتا عندما كانت صغيرة ..

..... وانا قبلت ريتا
عندما كانت صغيرة
وانا اذكر كيف التصقت
بي ، وغطت ساعدي احلى ضفيرة

نلاحظ ان هذا الاسترجاع الذي يعود الى الطفولة ، أي ما قبل بدء (القصة / القصيدة) يسمى استرجاعاً خارجياً لانه يعود الى ما قبل بدء احداث القصة / القصيدة ويأتي ((لملء بعض الفجوات في حياة الشخصيات المحورية . ووظيفتها اخبارية في السياقات التي تأتي فيها)) (٦)

غير أنها اساسية لأنها تساهم في تكوين الصورة ، وفي إيصال الإيحاءات الى القارئ ، حيث تجعله يعيش الحالة الشعورية مع الشاعر . ثم يعود الى اللحظة الحاضرة المعاشة والتي يذكر فيها استمرار وجود ريتا في ذاكرته ...

وانا اذكر ريتا
مثلما يذكر عصفور غديره
آه ... ريتا
بيننا مليون عصفور وصوره ومواعيد كثيرة
أطلقت ناراً عليها ... بندقية

ومن تقنيات الاسترجاع الفنية انتقال الشاعر من حالة شعورية الى حالة اخرى ، لان الاسترجاع في القصيدة احيانا يكون ((من اللحظة النفسية الحاضرة الى لحظةٍ نفسية سابقة عليها في الزمن)) (٧)

ويعود الشاعر ويسترجع حلمه الجميل واماله المفقود (ريتا) ...

اسم ريتا كان عيداً في فمي
جسم ريتا كان عرساً في دمي
وانا ضعت بريتا ... سنتين .
وهي نامت فوق زندي سنتين
وتعاهدنا على اجمل كأس ، واحترقنا
في نبيذ الشفتين
وولدنا مرتين !

فاسم ريتا كان عيداً في فمه ، وجسم ريتا كان عرساً في دمه ، وهنا يعيش الشاعر حالة وجدانية جميلة بين ذاته وومحبوبته التي يخيل الى القارئ أنها جزء من روح الشاعر العاشق ...وكأنه باستخدامه الفعل (كان) يقصر حدوث هذا الشيء في الماضي دون استمراره الى الوقت الحاضر . اما السنتان اللتان قضاها مع ريتا فزمن محدود لايمكن له الاستمرار فهو منته لامحالة .. ثم يعود الشاعر من خلال الحوار الداخلي (المونولوج الداخلي)الذي يدور بينه وبين نفسه الى حاضره المؤلم وكأنه كان في حلمٍ قد صحا منه على واقع بائس مؤلم ، ويبدأ صحوته بحسرةٍ ينبعث منها الالم ...

آه ... ريتا
أي شيء رد عن عينيك عيني
سوى اغفاءتين
وغيوم عسلية
قبل هذي البندقية !

نعم انها الصحوة على الم الفراق فالبندقية لم تكن السبب الوحيد في فراقه عن ريتا ، بل سبقها (اغفاءتان وغيومٌ عسلية) نلاحظ الشاعر في بداية القصيدة ذكر (العيون العسلية) التي ترمز الى الجمال ، اما الان فيذكر (الغيوم العسلية) وكأن اللون العسلي هنا يرمز إلى عدم الصفاء وضبابية الرؤية ، فالغيوم بيضاء دائماً لكن ان تكون عسلية !!!؟

كان يا ما كان
يا صمت العشية قمري هاجر في الصبح بعيداً
في العيون العسلية
والمدينة
كنست كل المغنين ، وريتا
بين ريتا وعيوني ... بندقية

هذا تعبير رمزي عن تذكر النشوة التي أحسها في السابق ، وها هو الآن يستسلم للأمر الواقع ويقرأ الحدث بعد خدمت احاسيسه !

وكأنه هنا يستأنف رواية قصة جديدة .. فريتا هنا أصبحت تمثل الهدوء في حياته (يا صمت العشية) وكأن القمر هنا هو الملهم على الشعر وقد هاجر مع حبيبته ذات العيون العسلية فكلاهما ملهم للشاعر ، اما المدينة فقد كنست المغنين ، فان كان المغنون وجهاً مشرقاً للمدينة فالمدينة فارقها وجهها المشرق مع ريتا والقمر وتبقى البندقية تفصل بين الشاعر وريتا وتبعدهما عن بعض .

.....

اما في قصيدة (الدانوب ليس ازرق) (٨) يبدأ الحوار منساباً على لسان الراوي الذي يقوم بسرد تفاصيل (القصة / القصيدة) دون ان نجد صوتاً غيره ، حتى كلام الشخصيات في (القصة / القصيدة) يأتي بعبارة (قالت ، قالوا) ؛ اذ تدور القصيدة حول شخصين مجهولين لنا غير مصرح بهما ...

هي لاتعرفه .
كان الزمان
واقفاً كالنهر في جثته
قالت له :
عندي مكان .

يبدأ حوار القصة / القصيدة بين أطراف غير معروفين ، حالة من الغموض ... الشخص عبارة عن جثة وهي تخاطب تلك الجثة بان لديها مكان ... حتى المكان مجهول ...

كان ذاك اليوم صيفياً
وكان العاشقان
يستردان من الرزنامة الاولى
حساب الشمس ،
كان الامس
والحاضر كان ...

يظهر الاسترجاع من خلال الاشارة الى زمنٍ مضى (كان ذاك اليوم صيفياً) فالعاشقان يحاولان استعادة ما مضى فالامس مضى والحاضر كذلك مضى وقد عبر عن مضيهما بالفعل كان (كان بالامس ، والحاضر كان) فكلاهما اصبح في الماضي / ماضيا .فالراوي ماعليه سوى ان يروي ما وقع للشخصية او الشخصيات في الزمن الماضي اساساً ، على الرغم من وقوع بعض الاحداث في الزمن الحاضر او المستقبل ، وهذا ما نجده في قوله (كان بالامس ، والحاضر كان) ((لان طبيعة السرد لاتتعلق الا بما كان ، لا بما هو كائن ، ولا بما سيكون)) (٩)

هي لاتعرفه .
قالوا لها : يأتي مع النهر
الذي يأتي مع الفجر
وكان التوأمان
ضفتي نهر ... يسيران معا
او يقفان
وهما ... لايعرفان ! ...

يؤكد الشاعر على عدم وجود المعرفة السابقة بين المتحاورين .هي لاتعرفه ولكنهم اكدوا لها بانه سيأتي ... سيأتي مع من ؟!!! سيأتي مع النهر الذي يأتي مع الفجر فالنهر دلالة الخير والانبعاث والحياة الجديدة ... والفجر بداية يوم جديد فكلاهما يدل على حياةٍ جديدة نتأمل فيها كل خير .

يأتي الشاعر بحالة تشبيهية جميلة يشبه فيها التوأمين بضفتي النهر اللتين لا تفترقان لا في السير ولا الوقوف ..

كان ذاك اليوم حقلاً
من ذبول وحنان .
وهما يقتربان
ويموتان من الموت
ولا يلتقيان ...

ويعود يسترجع ذلك اليوم الذي التقيا فيه ، فقد كان حقلاً من ذبولٍ وحنانٍ ، فالحنان هو الذي يجمعهما والذبول مصيرهما فهما يقتربان من الموت ولا يلتقيان .

هي لا تعرفه
لكنها تشربه كالماء في رمل الزمان .
بعد عامين من الهجرة
في الهجرة
ماتا
في انفجار القبلة الاولى
وفي جثته ، كان الزمان
واقفاً كالنهر في جثته
قالت له :
عندي مكان .....

نجده يكرر (هي لاتعرفه) في القصيدة وهذا التكرار لم يأتِ اعتباطاً بل جاء ليعطي احساساً بالاستمرارية .

كما نجد حالةً من التفاني والاتحاد والاندماج مع الحبيب ...

بعد مرور عامين على هجرتهما التي لايصرح عنها الشاعر باي شيء ، بعد عامين تبقى الهجرة مستمرة الا ان حياتهما تنتهي ولا تستمر لانهما ماتا في الهجرة .. ويبقى الزمان واقفاً كالنهر في جثته ، وكأنها وقفةُ اجلالٍ له ومع هذا يبقى المكان مجهولاً ..ياترى هل هو مادي ام معنوي ؟!!! .

.....

في قصيدة ((المدينة المحتلة)) (١٠) يبدأ الشاعر بالقاء حدث القصة / القصيدة بشكلٍ ملخص ومكثفٍ يختزل فيه تفاصيل كثيرة ...

الطفلة احترقت امها
امامها ...
احترقت كالمساء ...

يكون التلخيص عادةً لتمهيد سلسلة من الحوادث حتى نصل الى الذروة ، لكن ما حدث عند محمود درويش كان تقديم الحدث الذروة ثم اعطاء سلسلة من الحوادث التي حصلت نتيجة الحدث الرئيس ...

وعلموها : يصير اسمها –
في السنة القادمة –
سيدة الشهداء
وسوف تاتي اليها
إذا وافق الانبياء !

وعلموها ... لانعلم من الذي اخبرها وعلمها بان امها ستكون سيدة الشهداء ، لكنها ستاتي اذا وافق الانبياء . وكأننا امام معجزةٍ او شروط تعجيزية لعودة الام وهذا طبيعي لان من يموت

لايعود حتماً . ثم يعود الشاعر الى تكرار الحدث الرئيس وكأنه يحاول اضفاء جوٍ من التواصل بين مقاطع القصة / القصيدة ...

الطفلة احترقت امها
امامها
احترقت كالمساء .
من يومها ،
لا تحب القمر
ولا الدمى
كلما
جاء المسا ، صرخت كلها :
أنا قتلت القمر
لأنه قال لي : .... قال ..قال :
أمك لا تشبه البرتقال
ولا جذوع الشجر
أمك في القبر
لا في المساء

تظهر النتيجة الثانية لهذا التكرار ، فالطفلة لا تحب القمر ولا الدمى وكأنها نبذت طفولتها ونبذت المساء لانه اصبح يمثل بالنسبة لها وقت الخوف او وقت الفقدان . ونتلمس حالة انعدام الحياة لان الام في القبر لا في المساء كالقمر . ثم يعود الى حالة تكرار الحدث الرئيس ...

الطفلة احترقت أمها
امامها
احترقت كالمساء .

وهنا بهذا التكرار يريد ان يبقي حالة التواصل والاستمرار للقارئ مع الحدث .

.....

ونجد صوت الراوي في قصيدة ((الجسر)) (١١) طاغياً اذ يروي احداث (القصة / القصيدة) مستخدماً الفعلين الماضي والحاضر متمازجين ؛ اذ يبدأ رواية الاحداث بما يشبه نشيد الحرية ؛ اذ نلاحظ العزيمة والاصرار على العودة ...

مشياً على الاقدام ،
او زحفاً على الايدي نعود
قالوا ...

فالفعل - قالوا – بدا على ان ماحدث حدث في الماضي اذاً فهو يسترجع احداث القصة ...

وكان الصخر يضمر
والمساء يداً تقود ...
لم يعرفوا أن الطريق الى الطريقِ
دمٌ ، ومصيدةٌ ، وبيد
كل القوافل قبلهم غاصت ،
وكان النهر يبصق ضفتيه
قطعاً من اللحم المفتت ،
في وجوه العائدين

الاصرار موجود للوصول الى الهدف المرجو .. ولكن طريقهم لم يكن سهلاً لانه مليء بالدم والمصائد والصحاري القفار .. لماذا ؟ لأن جميع القوافل التي جاءت قبلهم غاصت ، يستخدم هنا كل القوافل التي تسير بالطبع على اليابسة ، كما ذكر في البداية (مشياً على الاقدام) لكن

الغوص يكون في البحر ، هنا اراد ان يعطي عمقاً للحالة وكأن النهر لكثرة ما سقط فيه من شهداء اصبح كالبحر في سعته وعمقه حيث يستوعب قوافل من الناس التي يرمي لحومها على ضفتيه وكأنه يبصقها ...

كانوا ثلاثة عائدين
شيخ ، وابنته ، وجندي قديم
يقفون عند الجسر ...

يستمر الراوي بصوته يسرد لنا عودة المرحلين (الشيخ وابنته والجندي القديم) يقفون في حالة انتظار وتأمل ...

(كان الجسر نعساناً ، وكان الليل قبعةً .
وبعد دقائق يصلون ، هل في البيت ماء ؟ وتحسس
المفتاح ثم تلا من القرآن آية ....)

نرى هنا ثقل الانتظار اذ يوحي المشهد بالخمول والجسرُ نعسانٌ والليل يخيم عليهم كأنه قبعة تظلهم ولكنهم عند وصولهم البيت تبدأ تباشير الفرح بالظهور و يبدأ الشيخ بالصلاة وتلاوة آيات من القرآن الكريم ....

قال الشيخ منتعشاً : وكم من منزلٍ في الارض
يألفه الفتى

قالت : ولكن المنازل يا ابي اطلالُ !
فأجاب : تبنيها يدان ....

ويقتبس الشاعر شطراً من شعر المتنبي يدمدمه الشيخ مع نفسه من خلال تقنية الحوار الداخلي (المونولوج) متفائلاً بالوصول الى البيت ..

وكم منزلٍ في الارض يألفه الفتى وحنينهُ ابداً لاول منزلِ

ويزداد تفاؤله جلياً بالاصرار على بناء المنزل ، على الرغم من انه لم يبقَ منه سوى اطلال ..
لم يتم حديثه ، اذ صاح صوت في الطريق : تعالوا !
وتلته طقطقة البنادق ...
لن يمر العائدون
حرس الحدود مرابطُ
يحمي الحدود من الحنين

عندما جاء الصوت المنادي بالعودة المرافق لصوت البنادق يلمس انقطاع ذلك الحلم الذي بدأ ينمو في نفس الشيخ بالعودة والاستقرار والحرية حدث انكسار داخل النفس ...

(امرٌ باطلاق الرصاص على الذي يجتاز
هذا الجسر . هذا الجسر مقصلة الذي رفض
التسول تحت ظل وكالة الغوث الجديدة .
والموت بالمجان تحت الذل والامطار ، مَن
يرفضه يقتل عند هذا الجسر ، هذا الجسر
مقصلة الذي ما زال يحلم بالوطن)

وينساب صوت الراوي وكأنه يعطي حقيقة هذا الجسر ، فهذا الجسر لايمثل طريق النجاة والعبور الى ضفة الامان ، بل يمثل طريق الموت .. الموت بالمجان لمن يحلم بالعودة الى الوطن ...

الطلقة الاولى ازاحت عن جبين الليل
قبعة الظلام
والطلقة الاخرى ...

اصابت قلب جندي قديم .
والشيخ يأخذ كف ابنته ويتلو
همساً من القرآن سوره
وبلهجةٍ كالحلم قال :
- عينا حبيبتي الصغيرة ،
ليَ ، يا جنود ، ووجهها القمحي لي
لا تقتلوها ، واقتلوني
تم اطلاق الرصاص فالطلقة الاولى انارت الليل ليتمكن الجنود من اصابة من يريدون والطلقة الثانية اصابت احد العائدين الثلاثة (الجندي) ، وفي لحظة الفزع يستمر الشيخ بتلاوة سورة من القرآن محاولاً الهرب بابنته حتى لا يصيبها مكروه ويقدم نفسه فداءً لها ..
(كانت مياه النهر اغزر ... فالذين رفضوا
هناك الموت بالمجان اعطوا النهر لونا اخراً .
والجسر ، حين يصير تمثالاً ، سيصبغ – دون
ريب – بالظهيرة والدماء وخضرة الموت
المفاجئ)

اصبح النهر كالتمثال لانه يقف دون حراك كالمتفرج على الاحداث بدلاً من ان يكون وسيلةً لعبور الكادحين ونجاتهم ، اصبح هو المقصلة التي تنتهي عليها حياة العائدين الى الوطن ...
وبرغم ان القتل كالتدخين ...
لكن الجنود ((الطيبين)) ،
الطالعين على فهارس دفترٍ ....
قذفته امعاء السنين .
لم يقتلوا الاثنين ....
وبلهجة ساخرة تهكمية يطلق نعت (الطيبين) على الجنود الذين اصبح القتل لديهم سهلاً كالتدخين فهؤلاء الحثالة لم يقتلوا الاثنين (الشيخ وابنته) بل هم ارتكبوا ابشع من ذلك ...
كان الشيخ يسقط في مياه النهر ...
والبنت التي صارت يتيمة
كانت ممزقة الثياب ،
وطار عطر الياسمين
عن صدرها العاري الذي
ملأته رائحة الجريمة
والصمت خيم مرة اخرى ،
وعاد النهر يبصق ضفتيه
قطعاً من اللحم المفتت
... في وجوه العائدين
انهم قتلوا الشيخ ورموه في النهر وتركوا آثار الجريمة على جسد الفتاة التي اجتمعت عليها اكثر من مصيبة ، مصيبة اليتم بفقدان ابيها وفقدان عذريتها التي لا يصرح بها الشاعر بل يوحي بها بالفاظ تصرخ بالجريمة ...

لم يعرفوا ان الطريق الى الطريق
دم ومصيدة . ولم يعرف احد
شيئاً عن النهر الذي
يمتص لحم النازحين

وبصوت يحمل الاسى على ما حصل يؤكد ان الطريق الى الحرية مليء بالدم والتضحيات ...

(والجسر يكبر كل يوم كالطريق ،
وهجرة الدم في مياه النهر تنحت ممن حصى
الوادي تماثيلاً لها لون النجوم ، ولسعة الذكرى ،
وطعم الحب حين يصير اكثر من عبادة)

ومن خلال تقنية الحوار الداخلي ينهي الشاعر فصول القصة / القصيدة . فدماء الناس التي اكتضت بها مياه النهر لم تعد مجرد دماء جارية ، بل اصبحت تماثيلاً ونصباً شامخة كأنها تروي لجميع الاجيال قصة التضحية والفداء التي تبقى تحمل الفخر والالم والحب .

.....

و قصيدة (مزامير) (١٢) التي تتكون من مقاطع عدة نأخذ منها المقطعين الثالث والعاشر واللذان تتجلى فيهما تقنية الاسترجاع ، ففي المقطع الثالث من القصيدة نجد الشاعر يبتدأ القصيدة بالاسترجاع مستخدماً الفعل الماضي الناقص (كان) بكثرة ...

يوم كانت كلماتي
تربةً..
كنت صديقاً للسنابل .
يوم كانت كلماتي
غضباً ....
كنت صديقاً للسلاسل
يوم كانت كلماتي
حجراً ....
كنت صديقاً للجداول .
يوم كانت كلماتي
ثورةً ....
كنت صديقاً للزلازل
يوم كانت كلماتي
حنظلاً ....
كنت صديق المتفائل

فها هي القصيدة ممتلئة على طول مسارها بالفعل كان الذي اخذته القصيدة من الرواية والقصة العربية والذي يقول عنه الدكتور عبد الملك مرتاض : ((ومن الواضح ان الرواية العربية لم تستطع التخلص نهائياً من اشكال السرد القديمة ولاسيما فعل (كان) الذي نعتقد انه موروث عن السرد الشعبي كان ما كان .....)) (١٣) والقصيدة تلتزم حالة من التوافق في اسلوب التعبير فيوم كانت كلماته تربةً كان صديقاً للسنابل وعندما كانت كلماته غضباً كان صديقاً للسلاسل ، فالغضب ينصب على أعدائه بالتأكيد وهذا ما يدفع أعدائه الى زجه مكبلاً بالسلاسل في السجون وهذا ما اعتاده الشاعر من قبل قوات الاحتلال . والحجر جزء من الجداول والثورة تشبه الزلزال بقوتها عندما تحقق غرضها ، ولكن عندما كانت كلماته حنظلاً على اعدائه فكان التفاؤل يحقق غاية في النفس ...

حين صارت كلماتي
عسلاً ...
غطى الذباب
شفتي !..

والآن يغادر الشاعر حالة الاسترجاع والاستذكار الى الزمن الحاضر فكلماته حين صارت عسلاً غطى شفته الذباب ، مهاجمة ما هو متطفل على الشيء الجيد .

.....

اما في المقطع العاشر من قصيدة مزامير فنجد الشاعر يستخدم نوعاً من انـواع الاسترجاع وهو (الاسترجاع الخارجي) وهو الذي يعود الى ما قبل بداية الرواية

حالة الاحتضار الطويلة
أرجعتني الى شارع في ضواحي الطفولة
أدخلتني بيوتاً
قلوباً
سنابل
منحتني هوية
جعلتني قضية حالة الاحتضار الطويلة .

* * *

فالشاعر يتحدث عن حالة يمر بها الآن وهي - حالة الاحتضار الطويلة – وهو في هذه الحالة يسترجع ذكريات الطفولة واشياء كان يشعر بانسانيته من خلالها ...

كان يبدو لهم
انني ميت ، والجريمة مرهونة بالاغاني
فمروا ، ولم يلفظوا اسمي .
دفنوا جثتي في الملفات والانقلابات ،
وابتعدوا .
(والبلاد التي كنت احلم فيها – سوف
تبقى البلاد التي كنت احلم فيها) .

ويتحدث عن اشخاص غامضين غير معروفين بقوله (كان يبدو لهم)من هم لانعرفهم **!!!** كانوا يظنون أنه ميت فتركوه وكأنه قضية قد انتهت ولم يعد لها وجود او قيمة تذكر . وفي حالة من انسياب الحوار الداخلي الذي يمتزج مع مجريات السرد القصصي والذي يصعب التفريق بينه وبين سلسلة الاحداث المتعاقبة ، وهذا مما يحمد فيه اسلوب الشاعر خاصة ((انه يترك افكار الشخصية تمتزج بتموج السرد كما لو انها تشكل جزءاً منه ولا سيما اذا قدرنا ان الاحداث المروية تتتابع دون أي تنافر او انقطاع)) ١٤) ففي خلجات نفسه تبقى البلاد التي يحلم فيها حلماً مستمراً ...

كان عمراً قصيراً
وموتاً طويلاً
وأفقت قليلاً
وكتبتُ اسم ارضي على جثتي
وعلى بندقية
قلت : هذا سبيلي
وهذا دليلي
الى المدن الساحلية .
وتحركت ، لكنهم قتلوني

فحياته التي عاشها قصيرة وليس شرطاً ان تكون الحياة الملموسة ، بل قد تكون الحياة التي يشعر فيها بإنسانيته ، اما حالة السبات او الاحتضار التي تشبه الموت فطويلة لانه يتوقف فيها عن تحقيق أي شيء ذا قيمة تذكر .

ويمر بحالة صحوة يحقق فيها جزءاً من وجوده فهو يكتب اسم ارضه على جثته وعلى بندقية ووحد في هذه الصحوة سبيلاً ودليلاً للوصول الى ما يبغي ، ولكنهم قضوا على حياته لانه ذكر وطنه وحاول الوصول اليه .

واختار السلاح والمقاومة سبيلاً للتصدي لمن ينكر عليه حق الحياة . لقد قتلوه لأنه كان يريد الحياة .

دفنوا جثتي في الملفات والانقلابات ،
وابتعدوا ...
والبلاد التي كنت احلم فيها
سوف تبقى البلاد التي كنت احلم فيها .

* * *

ويبقى البلد الذي يحلم فيه حلماً في الذاكرة لا يتحقق ، إنه يرفض الإحتضار ، بل يفضل الموت عليه . فهو ثائرٌ على نفسه وعلى من يتخاذل من بني جنسهِ أولاً . أولائك الذين يفضلون حالة الإحتضار الطويلة . إنه يسخر منهم ويسمو إليهم بموته من أجل قضية .

انا في حالة الاحتضار الطويلة
سيد الحزن .
والدمع من كل عاشقة عربية
وتكاثر حولي المغنون والخطباء
وعلى جثتي ينبت الشعر والزعماء
وكل سماسرة اللغة الوطنية
صفقوا
صفقوا
صفقوا
ولتعش حالة الاحتضار الطويلة

* * *

يغادر الشاعر حالة الاسترجاع ويتحدث عن الحاضر الحزين الاليم ويساورني شعور بان من يمر بحالة الاحتضار هذه ليس الشاعر ، بل هو الوطن الجريح لان الدمع يذرف عليه من كل عاشقة عربية وتكاثر حوله المغنون والخطباء ، وكثر على جثته الزعماء والمنافقون من شعراء وكتاب والذين رمز لهم بسماسرة اللغة الوطنية الذين صفقوا لتستمر حالة الاحتضار الطويلة ، وكأنهم وكر ذباب اجتمع حول جثة مر عليها ايام طويلة ....

حالة الاحتضار الطويلة
أرجعتني الى شارع في ضواحي الطفولة
أدخلتني بيوتاً ... قلوباً .... سنابل
جعلتني قضية
منحتني هوية
وتراث السلاسل .

ويكرر الشاعر استرجاعه للحالة الاولى التي ابتدأ بها القصيدة ، الحالة التي يشعر بانسانيته من خلالها ، وهذا التكرار يدعى بالتواتر ، وهو : ((ان الراوي يقص مرة واحدة على مستوى القول ما وقع ،او حدث ، مرة واحدة على مستوى الوقائع))(١٥) .

الخــاتمـة

بعد ان اطلعنا على استخدام تقنية الاسترجاع في الشعر العربي نخلص الى جملة من النتائج التي توصلنا اليها في بحثنا هذا وهي كالأتي :

١- ارتباط الاسترجاع ارتباطاً وثيقاً بالذاكرة التي تحيل الى الزمن الماضي لموضوع احداث القصة / القصيدة .

٢- يأتي الشاعر بالاسترجاع لربط الاحداث الماضية مع الاحداث الحاضرة والتي لا يتسع المجال لتفصيلها .

فالهدف من الإسترجاع الذي تسببه تداعيات الحاضر لدى الشاعر هو خلق الصورة الجميلة التي لم تعد موجودة في الحاضر ، ومن خلال ذلك يمكن تصور مدى رداءة وسوء الحاضر .

٣- كثرة استخدام الفعل الماضي الناقص (كان) وكأنه يستعيد اجواء الف ليلة وليلة من خلال اسلوب السرد
العربي القديم _كان ياما كان ..... - .

٤- ظهور صوت الراوي بكثرة وكأن الشاعر يتستر خلف شخصية الراوي في سرد الاحداث ليبعد عنه أي
علاقة باحداث القصيدة .

الهـوامش

١-بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، د٠ سيزا احمد قاسم ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨٤ ، ٤٠ .

٢-عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، د٠ علي عشري زايد ، دار الفصحى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ٢٢١/٢٢٠ .

٣- ديوان محمود درويش ، دار العودة ، ط١٢ ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ٥٦/٥٤ .

٤- بناء الرواية ، ٤٠ .

٥- ديوان محمود درويش ، ١٩٤/١٩٢ .

٦- انفتاح النص الروائي ، د٠ سعيد يقطين ، المركز العربي ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٩ ، ٥٦ .

٧- عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، ٢٢١ . ، وينظر : مدخل الى التحليل البنيوي الشكلي للسرد ، يحيى عارف ، مجلة الأقلام ، ع (٥-٦) ، ١٩٩٧ ، ٥٩ .

٨- ديوان محمود درويش ، ٣٠٦/٣٠٥

٩- في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ، د٠ عبد الملك مرتاض ، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، الكويت ، كانون الاول ١٩٩٨ ، ١٧٥ .

١٠ - ديوان محمود درويش ، ٤٣٨ / ٤٣٩ .

١١- ديوان محمود درويش ، ٢٥٥/٣٥٢ .

١٢- ديوان محمود درويش ، ٢٨٦/٣٧٢ .

١٣- في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ، د٠ عبد الملك مرتاض ، ١٧٥ .

١٤- تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، امنة يوسف ، ١٩٩٦ ، ٧٧ .

١٥- تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ، يمنى العيد ، دار الفارابي ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ٨٥ .

المصادر والمراجع

١- انفتاح النص الروائي ، د٠ سعيد يقطين ، المركز العربي ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨٩ ، ٥٦ .
٢- بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، د٠ سيزا احمد قاسم ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨٤ ، ٤٠ .
٣- تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي ، يمنى العيد ، دار الفارابي ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٩٠ ، ٨٥ .
٤- تقنيات السرد في النظرية والتطبيق ، امنة يوسف ، ١٩٩٦ ، ٧٧ .
٥- ديوان محمود درويش ، دار العودة ، ط١٢ ، بيروت ، ١٩٨٧ ، ٥٦/٥٤ .
٦-عن بناء القصيدة العربية الحديثة ، د٠ علي عشري زايد ، دار الفصحى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ٢٢١/٢٢٠ .
٧- في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ، د٠ عبد الملك مرتاض ، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، الكويت ، كانون الاول ١٩٩٨ ، ١٧٥ .
٨- مدخل الى التحليل البنيوي الشكلي للسرد ، يحيى عارف ، مجلة الأقلام ، ع (٥-٦) ، ١٩٩٧ ، ٥٩ .

Narjis khalaf Asa,d
Instructor assistand
College of Education/ Tikrit University

The Recalling in Arabic poetry
(Mahmood Darwish) As asample .

Time has it's in fluence in the literary works , for exemple ,short story , novel and play based on time and place , so no events happened unless it has it's own time and place and also Poetry , it's just like story and novel it relats with tine and place .

One of the most important technique which most the litrany works depend on is the recalling (flash back) and most of the poets usled this technique as any other techniques , using recalling depend on the poet's culture and his abilty to use this sort of technique and weather it's suitable with his poem or not .

Rechalling is one of the techniques of time which the Poets bonowed from other literay gender like novels and plays and like other poet Mahmood Darwish ased this type of technique in his own way in his dramatic Poetry and as some critics called in the narrative device in poetry or the narrative style in Poetry . The recalling is to shift the events from the psychological moment in the present time to apsychological moment in the Past and ilmost use to connect the present events with past events to show the readers the beauty of the Poetry .